

## طبنة المدينة-الحاضرة؛ وعلاقتها الاقتصادية بواحات المغربين

الأوسط والأدنى ق 1-5هـ/ 11-7م

**Tabna: The city-The Urban Cunter, and and Its Economic Relations with the Oases of the Central and Lawer Maghreb (1<sup>st</sup>- 5<sup>th</sup> A.H./ 7<sup>th</sup> -11<sup>th</sup> A.D.)**

د. فتيحة قاضي

جامعة البليدة 2 لونيبي علي

[f.kadi@univ-blida2.dz](mailto:f.kadi@univ-blida2.dz)

تاريخ النشر: 2025/12/31

تاريخ القبول: 2025/12/28

تاريخ الاستلام: 2025/12/25

## ملخص:

يتبنى البحث طرْحاً علمياً يتعلق بطبنة؛ وذلك راجع لمكانتها التاريخية واسهاماتها الحضارية في المغرب الأوسط على العموم وإقليم الزاب على وجه الخصوص باعتباره عاصمته وقلبه النابض خلال العصر الوسيط؛ بين طرحين: طبنة المدينة أم الحاضرة؟ هذا من جهة، وتبني فكرة الكشف عن ميزتها الطبيعية بين طبنة التل والصحراء من جهة أخرى، وتبيان الدلالات والمؤشرات التي تثبت الطرح أو تلغيه.

كما نهدف ببحثنا هذا أيضاً التعريف بمؤهلاتها الاقتصادية التي جعلتها تحتل مركز الصدارة على غرار حواضر ومدن الزاب الأخرى، وعلاقتها بالحواضر الواحية الحدودية القريبة منها والبعيدة عبر شبكة مسالك برية إقليمية وجوارية.

كلمات مفتاحية: طبنة؛ إقليم الزاب، المدينة، الحاضرة، الواحات الصحراوية، الحياة الاقتصادية.

**Abstract:**

The research adopts a new approach related to Tabna; this is due to its historical status and its cultural contributions in the central Maghreb in general and the Zab region in particular, as it was its capital and beating heart during the medieval period Between two propositions: Is Tabna a city or a metropolis? This is on one hand, and on the other hand, adopting the idea of revealing its natural advantage between Tabna of the hill and the

desert, and showing the indications and signs that prove or refute the proposition.

Our research also aims to highlight its economic qualifications that have made it occupy a leading position, similar to other cities and towns of the Zab, and its relationship with the nearby and distant border oasis towns through a network of regional and neighboring land routes.

**Keywords:** Tabna, Zab province, City, metropolis, desert oases, economic life.

## 1. مقدمة:

يطرح ميدان البحث في تاريخ مُدن وحواضر المغرب الأوسط مجالاً لدراسة جوانبه الحضارية، ولا سيما المدن والحواضر الصغرى أو تلك التي نشطت في فترة معينة ولم تعطها الدراسات حقها في البحث، بخلاف المراكز الكبرى كتلمسان وتهمرت وبجاية وغيرها، هذا ما يدعو الباحثين إلى توجيه اهتمامهم على ما لم يتم دراسته والاهتمام به.

وبما أنَّ المغرب الأوسط فضاء جغرافي رُجب يشتمل على عدد من المدن والحواضر الداخلية والصحراوية فقد تداخلت المصطلحات وتعددت المفاهيم حولها؛ ولعلَّ طبنة من بين أهم المناطق المختلف حولها، حيث شكلت حلقة بحث هامة؛ لم يتم الفصل فيها بعد، فهي تقع بين مُسمى المدينة أحياناً اكتفت باحتضان بعض الأحداث التاريخية أم الحاضرة التي جمعت بين الواحة والمدينة وكان لها تأثير حضاري واسع النطاق وساهمت في صناعة أحداث المغرب الأوسط عامة وإقليم الزاب خاصة منذ الفتوحات الإسلامية إلى غاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وعليه يمكن طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى يمكن اعتبار الطرح صحيح؟ وإلى أي طابع جغرافي يمكن تصنيفها؛ حاضرة واحة أم منطقة داخلية أم أنها جمعت بين النمطين؟ وإن كان كذلك؛ ما هي أهم المؤشرات الدالة على ذلك وما هي أبرز نشاطاتها الاقتصادية وبما اتسمت علاقتها التجارية مع الواحات الصحراوية؟

ولمعالجة إشكالية الموضوع اتبعنا المنهج التاريخي التحليلي وعلى خطة عمل مكونة من: مقدمة وعناصر أساسية في الدراسة؛ تطرقنا فيها إلى المدلول التاريخي لطبنة وتطوره طيلة فترة العصر الوسيط، ثمَّ تطرقنا إلى لب الموضوع حيث يوجد الاختلاف والتضارب بين إذا كانت طبنة مدينة أم حاضرة؟، وتطرقنا في آخر الدراسة إلى مؤهلاتها الاقتصادية.

## 2. "طبنة": أصل التسمية والتطور التاريخي ق 1-5هـ/7-11م -التأسيس ومرحلتى القوة والضعف-

1.2. أصل التسمية والتأسيس: تعود أصل تسميتها إلى الفترة الرومانية، وكانت تسمى في ماضي بـ "توبوني" (grange, 1901, pp. 24, 65, 94-95)، كونها استحدثت على أيديهم، ويرجع تاريخ تأسيسها إلى ق 2م، تكرر ذكرها في الكتابات اللاتينية كثيراً باعتبارها منطقة خضعت للقوة الرومانية ثم البيزنطية، ولم تزل كذلك إلى أن آلت إلى الفوضى والفساد الذي عمّ البلاد آنذاك محتوية الصراع الروماني البيزنطي، ولم تنفس صعباً إلى أن استقر حكم هذه الأخيرة في بلاد المغرب القديم، فانتعشت اقتصاديا وتكاثرت سلالتها وتركيبها الاجتماعية ليتمّ اتخاذها قاعدة عسكرية، إضافة إلى استعمالها كالعين النازرة لرصد تحركات المخالفين لحكمهم، وواصلت توبوني قيامها بعد هذه الفترة إلى غاية انتعاشها على يد المسلمين بعد الفتوحات الإسلامية.

ثمّ تطورت طبونمية اسمها وحُرّفت إلى "طبنة"، وأحكمت حركات حُرُوفها حسب ما ورد في المعجم الجغرافي "البلدان": "طُبْنَةُ بضم أوله وسكون ثانيها وجمعها طُبْن، من أصل أعجمي تعني لُعبة الأعراب" بتصرف (الحموي، صفحة 21).

2.2- مرحلة القوة: عاشت أزهى وأمر فتراتهما خلال الفتح الإسلامي حيث فُتحت على يد موسى بن النصير، وحددت النصوص عدد سبيه منها الذي بلغ العشرون ألفاً (البكري، الصفحات 51-52)، وإنّ العدد مدعاة للقول أنّها كانت عاملة أهلة بالسكان والغنيمة بها وافرة؛ ومنذ ذلك الحين أصبحت محل اهتمام المؤرخين المسلمين والرحالة الجُغرافيين، حيث بدأت عمارتها تتأسس وتزدهر حتى بلغت ذروتها منتصف القرن 2هـ/8م -عهد الولاة-؛ أين ظهرت على مسرح الأحداث بقوة مع فترة محمد بن الأشعث لما عُين واليا على إفريقية، وأصبحت بمثابة البيت الآمن للثوار الخوارج وأرضاً خصبة لنشر توجهاتهم الفكرية والمذهبية، كما اتخذوها قاعدة لشن حروبهم ضد الولاة.

وإنّ سنة 124هـ/742م إلّا دليل واضح على ذلك، فبالقراءة في أحداث هذه الفترة نجد أنّها مليئة بالفوضى والاضطرابات التي احتوتها طبنة، ويعود السبب في ذلك إلى تحصنهم الدائم بها، نظراً لقوة مناعتها الطبيعية والعِمْرانية التي تركتها عليها بيزنطة، ولم تزل القضايا تنزل بها إلى أن أرسل إليها الوالي محمد بن الأشعث الأغلب بن سالم حاكماً عليها وعلى إقليم الزاب لرصد حركات الثوار وإضعاف مخططاتهم الحربية (خياط، 1995، الصفحات 230-231)، ولم تلبث مطولاً إلى أن اتخذها هذا الأخير مقراً له، غير أنّ المدة لم

تدم مطولاً فسرعان ما عادت إلى سابق عهدها حينما أمر الخليفة العباسي بإقالة الوالي الأشعث وترقية الأغلب بن سالم لحكم إفريقية فاشتدت هجماتهم عليه إلى أن تمّ قتله عام 150هـ/773م، وعادت إلى الفراغ السياسي والعسكري.

وفي السنة الموالية تمّ تعيين عُمر بن حفص الملقب بهازمرد على إقليم الزاب، غير أنّه لم يستطع إحكام قبضته عليها واستمرت ثورات الخوارج بها إلى أن وصلوا سور القيروان، ولم تكن هناك طريقة تمنع توغلهم إلاّ بناء سور عليها لضبط مداخلها ومخارجها (ابن خلدون، المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، 2001، صفحة 246) (البكري، صفحة 50)، حينها هدأت أوضاعها واستقرت أحوالها وانتعشت جوانبها الحضارية من جديد، وقد آتى ذلك ثماره على القيروان أيضاً، ومن هنا يتضح لنا مدى أهميتها التاريخية بالنسبة لعاصمة الوُلاة، وبالتالي يمكن القول أنّ لطبنة الفضل الواسع في المحافظة على استمرار عصر الوُلاة إلى فترة متأخرة نوعاً ما، كما لها دخل واضح في إفراز الشخصية القيادية التي حكمت القيروان وذلك بإيعاز من سُكّانها.

ينسحب القول هنا أيضاً؛ على مدى ارتباطها الوثيق بالخِلافة العباسية، ويظهر ذلك واضحاً بعد تكليف الأمير إبراهيم بن الأغلب بحكم القيروان حيث ركز اهتمامه بها وجعلها كالعين النازرة له على المغربين الأوسط والأقصى خاصة في ظل الحركات الانفصالية التي شهدتها الإقليمين، وإنّ كل المؤشرات والدلائل تحاكي القوة التي بلغت عهده (المراكشي، صفحة 133) من تقدم وتحضر واستقرار؛ إلى جانب التحصينات الدفاعية التي حظيت بها هذه الفترة وذلك لثقل مكانتها في نفوس أمراء بنو الأغلب وإدراكهم التام بخطورتها في تهديد وجودهم.

3.2- طبنة من الصدارة إلى الحضيض -مرحلة الضعف والانحطاط-: إنّ نهاية القرن 3هـ/9م (289-299هـ/902-911م)؛ لم تكن قال خير عليها، فبعد أن دخل أبو عبد الله الشيعي أرض المغرب الإسلامي سيطر على معظم مُدن وأرياف المنطقة ودان له أهل الزاب جميعاً، فحملت طبنة من جديد لواء الحرب وحُولت إلى منطقة صراع احتمت بها الحركات المعارضة لحكم عبد العبيدين وشُنّوا منها حملاتهم ضد الداعية أبو عبد الله الشيعي (النعمان، 1986، الصفحات 133-134، 161-166)، وفيما يبدو حول ردود فعل الرعية أنّهم مثّلوا الصدر الدافئ لهم واحتووهم وساندوهم (النعمان، 1986، صفحة 163)، ولم تزل كذلك إلى أن اقتحمها أبو عبد الله الشيعي وأحكم قبضته عليها.

وبذلك أصبحت مقراً لنزول خلفاء بنو عبيد، ومنها صدرت كُتب العزل والتولية، ومنها باشرُوا مهامهم السياسية والعسكرية، وأشارت النصوص إلى الرعاية التي قدمها العبيديين لها فأصبحت في عهدهم

مدينة سياسة واقتصاد وثقافة وأسقطوا عن سكانها الضرائب والجبايات (ابن حماد، الصفحات 64-65)، غير أنّ الفئات المعارضة التي ظلّت تهدد دولتهم الفتية لم تبرحها حينها فكر خلفاء بنو عبيد بمباشرة مشروع يُجسد أغراضهم السياسية والعسكرية والحضارية ويكون جامعاً بين مختلف حواضر إقليم الزاب تمثل في مشروع بناء المحمدية سنة 313هـ/817م (القبال، الصفحات 50-52)؛ ونقلوا عاصمتهم له من طبنة إلى المحمدية (المسيلة) وظلّت قاعدتهم المركزية إلى غاية رحيلهم نحو مصر، لتتحول من مركز اهتمام إلى انهيار واندثار ولم تعد إلّا جسر عبور.

لتزداد أوضاعها سوءاً وتقهرقاً فترة ثورة المخلد بن كيداد الذي جعلها قاعدته العسكرية وشنّ منه حروبه نحو المهديّة سنة 335هـ/971م؛ والتي كاد بها أن يجهض دولتهم الناشئة، لتتوالى نذائر الشؤم عليها في السنوات الموالية حتى فقدت مكانتها بشكل كامل، فالاجتياح العربي الذي عصف ببلاد المغرب الاسلامي خلال القرن 4 هـ/10م أتى على الأخضر واليابس، ولم يكن للأمير الحمادي من حل سوى شدّ نظرهم نحو المناطق الداخلية والصحراوية كالمسيلة وبسكرة والمحمدية وطبنة بإقطاعها لهم وصرف أطماعهم على بجاية وقلعة بني حماد، مما جعل المنطقة محل للاستغاثة حتى أصبحت خراباً (ابن خلدون، المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، 2001، الصفحات 227-231)، بسبب تراجع زراعتها وخراب عمرانها وفساد تجارتها نتيجة أعمال النهب والحراقة.

وظلّت كذلك إلى غاية انقطاع خبرها وزوال أثرها فأخر ما قال عنها ابن حوقل: "وأهلها قبيلتان عرب وبرقجانة...حدث بينهم البغي والحسد إلى أن أهلك الله بعضهم ببعض وأتى على نعمهم فصاروا بعد السعة والدعة إلى الضيق والذلة والصغار والشتات والقلة، مشردين بين البلاد" (ابن حوقل، 1996، صفحة 58)، وما كُتِب عنها بعد هذا التاريخ لم يكن فيه من تجديد لها ولأخبارها أو انبعاث لحركة نشاطها أبداً بل اشتملت على أخبار الماضين فقط.

### 3. طبنة الاختلاف

1.3. طبنة: مدينة أم حاضرة: إنّ الاختلاف الذي وقع حول طبنة يعود إلى الاختصار وعدم التوضيح الذي جاء في النصوص الجغرافية والأخبارية كونها مالت إلى التعريف بتاريخها دون وصفها والفصل في طبيعتها هل حاضرة هي أم مدينة؟، وبالعودة إلى ما جاء عند ابن خلدون وابن منظور حول ميزات كل واحدة منهما قالوا أنّ المدينة هي ذلك الحصن الذي يُبنى في اصطمة الأرض، تشهد نمط معيشي مُتَحَضِّر، أمّا الحاضرة فهي ذلك الحي العظيم أو القوم الكثير، وهي عكس البادية حيث

تضم المدن والقرى والريف (ابن خلدون، المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، 2001، الصفحات 227-231)، (ابن منظور، صفحة 4161، 907).

بناءً على نظرة ابن خلدون حول مواصفات المدن والحواضر، نجد أن الرحالة الجغرافيين من خلال ما أوردوه حولها لم يفصلوا في طبيعتها فمرة يصفونها بالمدينة وأخرى يعطونها مواصفات الحاضرة فاليعقوبي كأقدم رحالة جغرافي- (تد 284هـ/897م) وصفها قائلاً: "طبنة مدينة الزاب العظمى وهي في وسط الزاب وبها ينزل الولاية" (اليعقوبي، 1830، صفحة 141)، إلى جانب البكري (تد 478هـ/1094م) في قوله: "طبنة مدينة كبيرة وسورها من طوب وبها قصر وأرباض" (البكري، صفحة 50)، علاوة على الإدريسي (تد 559هـ/1163م) في قوله "المدينة الكبرى عاصمة الزاب" (الإدريسي، 1893، صفحة 93)، وكذلك هو الحال بالنسبة لصاحب الاستبصار (مجهول، صفحة 172).

فضلاً عن وصف البكري: "وطبنة سورها مبني بالطوب وبها قصر وأرباض وداخل القصر جامع وصهرج وبها جداول وبساتين وأسواق كثيرة وربض ومقبرة، ويسكنها أخلاط من العرب والعجم والبربر، ولها خمسة أبواب...نمشي في المدينة من باب إلى باب، فليس من سجلماسة إلى القبروان أكبر منها" (البكري، الصفحات 50-51)، وأضاف قائلاً: "مدينة كبيرة نزلها العمال" (البكري، صفحة 50)، وإن دلّ النص على شيء إنّما يدل على اتساع فضاءها الجغرافي الريفي والحضاري، وإن كثرة أحياءها وشوارعها وأبوابها تعكس مدى تطورها العمراني، وفي النصين أيضاً اتفاق على أنّها منزل الولاية والعمال ولا غرابة في ذلك فقد كانت مستقراً لخلفاء بني عبيد (ابن حماد، صفحة 65) مما يدل على مكانتها السياسية والعسكرية.

طبقاً لذلك يمكن القول أنّها خرجت من دائرة المدائن وارتقت إلى مصاف الحواضر، ولم يزل الجغرافيون يتحدثون عنها إلى وقت متأخر من العصر الوسيط (ابن سعيد، 1964، صفحة 92)، وكل ذلك مدعاة للقول أنّها حاضرة.

وفيما يخص الدراسات المعاصرة فقد جاءت معنونة في أغلبها بـ "الحاضرة طبنة"، فموسى لقبال تحدث عنها بصفتها عاصمة بلاد الزاب وحاضرة من حواضره أثناء الوجود العبيدي ببلاد المغرب الاسلامي (لقبال، صفحة 53)، إضافة إلى دراسة الباحث عبد الحكيم أوكعروور والموسومة بـ "طبنة عبر التاريخ، الشواهد الأثرية والأبحاث العلمية"؛ وانتهى بخلاصة تفيد أنّ طبنة حاضرة بلاد الزاب: "عرفت طبنة أوج

ازدهارها في العهد الإسلامي حيث كانت حاضرة من حضائر المغرب الإسلامي ذاع صيتها في مشارق البلاد ومغاربها" (أوكعروور ، 2018 ، صفحة 22).

بالإضافة إلى دراسة أسامة جعيل الذي عنونها بـ "طبنة حاضرة إقليم الزاب والمغرب عبر العصور -دراسة تاريخية-" (جعيل ، 2018)، ومما ندلي به نحن وبالاغتماد على ما سبق من حيث تطورها التاريخي والدور البارز الذي لعبته على مستوى الأحداث السياسية والعسكرية وما تم تغيبه فيما يخص الحياة الثقافية والعلمية والاجتماعية وطبقاً لما جاءت في النصوص الجغرافية أيضاً كفيل بالقول أنّ طبنة ارتقت إلى مصاف الحواضر في الفترة الواقعة بين ق-2/3هـ-8/9م؛ وفيما بين ذلك من الفترات السابقة واللاحقة يمكن القول أنّها عبارة عن مدينة.

2.3. طبنة حاضرة واحة أم مدينة داخلية؟؛ مثلما وقع اختلاف بين أنّها مدينة أو حاضرة وقع اختلاف أيضاً بين أنّها منطقة صحراوية أو داخلية؟. بالرغم من المكانة التي حظيت بها في المصنفات والمعاجم الجغرافية وباعتبارها عاصمة إقليم الزاب وعين الحكام الناظرة (اليعقوبي، 1830، صفحة 141)؛ إلا أنهم لم يضبطوا معالمها وحدودها الجغرافية، إلا أنّ ما نعلمه أنّ إقليم الزاب هو طرف على الصحراء وهو بمثابة بلاد الجريد- في حرّ هوائه وكثرة نخيله، يتصل به الكثير من المدن والعمائر وبه المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة (مجهول، صفحة 171)، وطبنة تقع وسطه وهي جزء لا يتجزأ من طبيعته فلا بد لها أن تتأثر بنفس تأثراته على أطراف الصحراء، ولذلك سنعتمد في طرحنا أيضاً على محاولة تقريب في خارطتها الجغرافية والمناخية، نظراً لندرة المادة العلمية حول طبيعتها والتي تحيل بيننا وبين إثبات الطرح أو نفيه.

إنّ المؤشرات تدل على أنّها منطقة شبه صحراوية تجمع بين التل والصحراء على ضفة إقليم الزاب (الحموي، صفحة 21)، تقع في الناحية الشرقية من الحضنة -على بعد 4 كلم من بركة حالياً-، وهي إحدى بلديات بركة، على بعد 81 كلم من باتنة، و162 كلم عن قسنطينة، وحوالي 76 كلم عن المسيلة، وبينها وبين بسكرة حوالي 77 كلم، أي أنّها تربط بين الأطلس التلي والصحراوي، غير أننا لم نستطع تحديد امتدادها الجغرافي بصورة دقيقة بسبب تعاقب الحضارات وتوالي الحروب فتضييق مرة وتوسع مرة أخرى في حركة تمدد وتقلص لأراضيها حسب طابع الحرب أو الاستقرار.

يمكن القول أنّ فضاءها الجغرافي يتسم بالاتساع ويجمع بين طابعين مختلفين، (مجهول، صفحة 172)، كما يدل النص على تنوع تضاريسها واختلاف مناخها، وميلها إلى الطابع الصحراوي ودليل ذلك ما

أورده صاحب الاستبصار لما تحدث عن هذه المناطق ضمن قسم مستقل سماه بـ "ذكر بلاد الصحراء" وصنفها ضمن المدن الواقعة في "بلاد الواحات" (مجهول، صفحة 172) وضمن هذه التقسيمات أورد لنا ذكر بلاد الجريد ثم بلاد الزاب، هذا؛ وقد ضُمَّنت طَبْنة مكاناً في الخطوط العرضية التي أدرجتها ضمن المنطقة الشبه صحراوية بمناخها القاري الشبه جاف والذي يمزج بين مناخ الزاب والحضنة (grange, 1901, p. 21).

علاوة على ذلك؛ فالنظر إلى خارطتها المناخية يتبين لنا أنَّ كمية التساقط بها قليلة جداً شتاءً فتتساقط لديهم أمطار صيفية فجائية، لذلك انصبت جلُّ أنشطتهم الفلاحية على الثروة المائية الباطنية إلى جانب وادي بيطام وبريكة (البكري، الصفحات 50-51) (ابن حوقل، 1996، الصفحات 85-86)، فضلاً على خاصية توفر التمور في مختلف واحاتها لدرجة تصديرها له (الحميري، 1975، 1984، صفحة 281)، وقد أشار الحموي إلى مدى جودة تمورها في مناسبتين قائلاً في إحداها: "ولها بساتين كثيرة فيها النخل والثمار" (الحميري، 1975، 1984، صفحة 378)، ونستدل في رأينا أيضاً على ما أورده المستشرق راؤول حول أراضيها المنتجة للتمور وسائر الأشجار المثمرة (grange, 1901, pp. 6-7)، إلى جانب شهرتها الواسعة في إنتاج القطن (أبي الفداء، 1840، صفحة 139) حيث يحتاج هذا الأخير إلى عامل الدفء والحرارة والجفاف، (بصال، 1955، الصفحات 115-117).

#### 4. الحياة الاقتصادية بطبنة وعلاقتها بالواحات الحدودية

##### 1.4 مؤهلاتها الاقتصادية

زخرت طبنة بمختلف المؤهلات الطبيعية والبشرية التي تسمح لها بأن تكون في مصاف المدن والحوضر الاقتصادية الكبرى، فقد اضطلعت بأدوار هامة في مجال الإنتاج والزراعة، كما لاقت شهرة واسعة في تربية الحيوان، وما ساعدها على ذلك امتدادها الجغرافي على حواف الواحات، مما منح مجالاً لتنوع تركيبها الاقتصادية، كما كان للحيز الريفي الذي تربعت عليه المنطقة الأثر البالغ في ثرائها، ومن بين الجوانب التي احتفظت لنا المصادر بالقليل من أخبارها نذكر:

أ- **الثروة الحيوانية:** إنَّ تربية الحيوان هي الوجه الآخر لرصد الحياة الاقتصادية لأي منطقة من المناطق، نظراً لقيمتها النفعية، فالحيوان في العصر الوسيط ظلَّ أنيس الإنسان ورفيقه في الحل والترحال، وأدى أدوار ريادية في مختلف الجوانب الحضارية؛ فلا يمكن جلب المياه ورفعها من مكانها إلّا به، ولا يمكن القيام بالأعمال الفلاحية من حرث ودرس دونه، علاوة على استعماله كوسيلة للنقل

وفي الحرب، إلى جانب الانتفاع بحليها وجلودها، وطبنة احتوت مختلف الأنواع والأصناف، فقد كانت الماشية بها وافرة، وسائر الكراع من البقر والماعز والخيول والنعم (ابن حوقل، 1996، صفحة 85) (الإدرسي، 1893، الصفحات 92-94).

فضلاً على ذلك، فقد أحصت النصوص الجغرافية عدداً من الإبل الذي توافق وطبيعتها الشبه صحراوية، استعملها القاطنة للتنقل واستفادوا من صوفها وألبانها (الإدرسي، 1893، صفحة 58).

ب- **المجال الفلاحي:** تميز المجال الفلاحي في طبنة بغزارة الإنتاج وذلك بشهادة الجغرافيين (الإدرسي، 1893، صفحة 58) (ابن حوقل، 1996، الصفحات 85-88) (البكري، صفحة 50) (الحميري، 1975، 1984) (ابن حوقل، 1996، صفحة 85) (الحميري، 1975، 1984، صفحة 387)، فتمّ رصد مختلف أنواعها من مزروعات مسقية من بقوليات وقطاني وفواكه وقمح وشعير وحنطة، وغير مسقية كالكتان، وأغلب تلك الزراعات أحصيت في فضاءها الريفي حيث جمعت بين عالم الريف في الانتاج والمدينة في عرض السلع (البكري، صفحة 51) (الإدرسي، 1893، صفحة 93)، والملاحظ أنّ أرضها اشتهرت بزراعة الحنطة وهي المعايير التي صنّفها خبراء الفلاحة (ابن العوام، 2012، صفحة 76، 78) أنّها توافق الأرض السهلة الرخوة المالحة التي تميل إلى الحمرة وصل معدل الزراعة فيها مرتين أو أكثر في السنة.

علاوة على انتاجها للتمر الذي عُد من أهم المحاصيل التي جناها أهل طبنة، بالرغم من عدم امتلاكها لواحات كبرى كالتى امتلكتها المناطق الصحراوية المجاورة كطولقة، إلا أنّ المصادر الجغرافية سجلت لنا شهرتها الواسعة في انتاجها وتصديرها (الحميري، 1975، 1984، صفحة 387)، وما ميز تمورها أنّها حسنة ارتفع سوق الطلب عليها (الإدرسي، 1893، صفحة 93) (مجهول، صفحة 172).

إلى جانب الشيخ والحلفاء ينبتان في المناطق شبه الصحراوية ويتوفقان مع المناخ الجاف والأرض الرملية الحمراء، غير أنّ المصادر لم تذكر شيئاً عنها، وما نستدل عليه واقع طبنة اليوم -بريكة- فهي من بين المناطق الواقعة في حزام -مشرية والنعامه وباتنة وبريكة والجلفة انتاج الشيخ والحلفاء، وكانت تستعمل لغرض التطبيب وككلاً للماعز كما استخدمت لنسج الحصير والأطباق التي تحفظ الخبز ولا يزال ذلك معمولاً به إلى يومنا.

ت- **الأنشطة الصناعية:** هي الأخرى كانت مزدهرة جداً، وبلغت مبلغها نهاية القرن 2هـ/8م؛ حيث تشير النصوص إلى تطور الصناعات البدائية وارتقاءها إلى الصنف الحضاري، وارتبط ازدهارها بوفرة الماشية

والماعز وسائر الكراع حيث يتم استعمال جلودها في الصناعات الجلدية وصنع الخيام والأغطية (ابن حوقل، 1996، صفحة 85)، ومما شاع عنها أيضاً وفرة انتاجها للقطن والكتان (المقدسي، صفحة 221) الذي تمّ استخدامه في مختلف الصناعات اليدوية القطنية، كما ولا بد لهم من الإبداع في الصناعات الفخارية كالأواني تخص استعمالهم المنزلية.

ضف إلى ذلك؛ غنى المنطقة بالمطاحن -الأرحية- وبالرغم من افتقارنا لنص يدل على ذلك غير أن المطاحن ضرورية في كل منطقة فتُحول عبرها المحاصيل الزراعية إلى مواد قابلة للاستهلاك، وبما أنّ الإنتاج الفلاحي كان مزدهراً في طبنة فلا بد من وجود المطاحن على ضفاف وديانها وآبارها غير أنّ المصادر وللأسف لم تُشر إلى ذلك.

ث- **الأنشطة التجارية:** إنّ الحديث عن التجارة يستلزم رصداً لحركة ونشاط الأسواق داخل المدينة فهي عصب الحياة الاقتصادية ومرآته العاكسة التي تُعبر عن مختلف الأنشطة الريفية والحضرية، ومما ورد عن بعض المصادر أنّها كانت غنية بالأسواق اليومية والمعروفة بالدكاكين (البكري، الصفحات 50-51)، كما مارس أهلها عمليتي البيع والشراء وكانوا أصحاب أموال وجاه (الإدرسي، 1893، صفحة 93)، ونُظمت الحركة التجارية في أسواقها بالنظام الأسبوعي وأخرى بالنظام اليومي الذي يلبي مختلف حاجيات السكان، وكل هذا مدعاة إلى القول والتأكيد على أنّ طبنة لم تكن مجرد مدينة صغيرة.

## 2.4 علاقة طبنة الاقتصادية بواحات المغربين الأوسط والأدنى

شغلت طبنة حيزاً جغرافياً مكنها لأن تكون نقطة وصل بين مختلف المسالك البرية الأساسية والثانوية في مجال النقل والمواصلات التجارية مع الحواضر والمناطق الواحية المجاورة القريبة منها والبعيدة، نتيجة انفتاح مجالها الجغرافي وموقعها الاستراتيجي الذي يجمع بين مختلف الطرق البرية، فظل أهلها في حركة ذهاب وإياب؛ مترددين على الأسواق بهدف البيع والافتناء وتبادل السلع، ومن أهم مسالكها البرية نذكر:

**طبنة- مقرة:** بينهما مرحلة واحدة، ومقرة مدينة حديثة البناء، بها مختلف الثمار والغرس، أرضها رملية بين الصرة والحمرة (ابن حوقل، 1996، الصفحات 85-86).

**طبنة- المسيلة:** بينهما مرحلتان (الحميري، 1975، 1984، صفحة 387)، حددها الإدريسي بـ 12 ميل، ونظراً لقربيهما قيل أنّ المسيلة في أرض طبنة (الإدرسي، 1893، صفحة 92)، فلا يمكن العبور منها إلى بسكرة إلاّ بالمرور على طبنة (ابن حوقل، 1996، صفحة 87).

طَبْنَةُ-بِسْكْرَةٍ: تَتَنَاقُضَانِ فِي الْحُدُودِ وَتَتَدَاخِلَانِ، بَيْنَهُمَا مَرَحِلَتَانِ وَإِلَى تَهُودَا أَرْبَعِ مَرَاكِلِ (ابن حوقل، 1996، صفحة 87)، وَمِمَّا وَرَدَ فِي الْمَصْنُفَاتِ الْجُغْرَافِيَّةِ عَنْ هَذِهِ الْأَخِيرَةِ أَنَّهَا أَصْبَحَتْ قَاعِدَةُ بِلَادِ الزَّابِ بَعْدَ سَقُوطِ طَبْنَةِ، وَهِيَ بِلَادُ نَخْلٍ وَتَمُورٍ (أَبِي الْفِدَاءِ، 1840، صفحة 139)، وَبِهَا كُلُّ أَنْوَاعِ التَّمْرِ الْغَرِيبِ وَالطَّرِيفِ (الإِدْرِيسِي، 1893، صفحة 94) (مَجْهُولٌ، صفحة 173)، إِضَافَةً إِلَى قَرَبِهَا مِنَ الْمَرْكَزِ الْوَاحِي طَوْلَقَةُ الَّذِي يَشْتَهَرُ بِكَثْرَةِ نَخِيلِهِ (البَكْرِي، صفحة 52).

طَبْنَةُ- بَاغَايٍ: بَيْنَهُمَا أَرْبَعُ مَرَاكِلِ (الإِدْرِيسِي، 1893، صفحة 104)، وَبَاغَايٍ مَدِينَةٌ عَامِرَةٌ، غَيْرُ أَنَّهَا أَصْبَحَتْ خَرَاباً عَصَرَ الإِدْرِيسِي (الْقَرْنُ 6هـ/12م) بِسَبَبِ حَرَكَةِ الْأَعْرَابِ، غَيْرُ أَنَّهَا نَالَتْ شُهْرَةً وَاسِعَةً فِي إِنتَاجِ التَّمْرِ قَبْلَ وَبَعْدَ الْخَرَابِ إِلَى جَانِبِ إِنتَاجِ الْحَنْطَةِ وَالشَّعِيرِ (الإِدْرِيسِي، 1893، الصفحات 103-104).

طَبْنَةُ -وَارْجَلَانِ: تَتَّصِلُ بِهَا عَنْ طَرِيقِ بَسْكْرَةٍ، وَوَارْجَلَانِ بِلَدُ خَصِيبِ كَثِيرِ النَخْلِ وَالتَّمْرِ وَهُوَ وَاحِدَةٌ صَحْرَاوِيَّةٌ شَغَلَتْ أَدْوَاراً أُسَاسِيَةً فِي الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ (مَجْهُولٌ، صفحة 224).

طَبْنَةُ- الْقَيْرَوَانِ: ارْتَبَطَتْ بِالْعَاصِمَةِ الْقَيْرَوَانِ عَنْ طَرِيقِ مَسْلُكَيْنِ بَرِّيَيْنِ، تَمِيزُ الطَّرِيقَ الْأَوَّلُ بِكَثْرَةِ الْمَسَالِكِ وَالْمَفَاوِزِ الصَّحْرَاوِيَّةِ فَمِنْ طَبْنَةِ إِلَى بَسْكْرَةٍ وَمِنْ بَسْكْرَةٍ يُشَقُّ الطَّرِيقُ نَحْوَ مَدَائِنِ قَسْطَلِيَّةٍ وَعَبْرَهَا إِلَى قَمُودَةِ (الْيَعْقُوبِي، 1830، صفحة 139) ثُمَّ قَفْصَةِ لَيْنَتَيْهِ الْمُتَرْتِلِ إِلَى الْقَيْرَوَانِ (مَجْهُولٌ، الصفحات 151-154)، أَمَّا الطَّرِيقُ الثَّانِي فَهُوَ أَشَدُّ تَعْقِيداً مِنَ الْأَوَّلِ فَمِنْ سُبُوبَةٍ وَمَروراً بِمَجَانَةِ إِلَى مَسْكِيَانَةٍ لَيْنَتَيْهِ الْمَسَارِ إِلَى بَاغَايَةٍ (ابن حوقل، 1996، صفحة 84)، وَعِنْدَ الْوَصُولِ إِلَى هَذِهِ النِّقْطَةِ يَتِمُّ الْإِفْتِرَاقُ بَيْنَ مَسْلُكَيْنِ فَرْعِيَيْنِ، الْأَوَّلُ يَشُقُّ طَرِيقَ قَسَنْطِينَةِ فَمَيْلَةٍ، وَالثَّانِي انْطِلَاقاً مِنْ دُوفَانَةٍ ثُمَّ بَلْزَمَةٍ ثُمَّ سَطِيفٍ بِاعْتِبَارِهَا مَحْوَرِ الْإِلْتِقَاءِ (ابن حوقل، 1996، صفحة 85)، وَتَمَّ تَقْدِيرُ الْمَسَافَةِ الَّتِي بَيْنَ بِلَادِ الزَّابِ وَالْقَيْرَوَانِ بِعَشْرَةِ مَرَاكِلِ (الْيَعْقُوبِي، 1830، صفحة 140) وَقَدْ تَكُونُ أَكْثَرُ بِقَلِيلٍ إِلَى طَبْنَةِ أَوْ أَقَلُّ مِنَ الْمَسَافَةِ الْمَقْدَرَةِ.

وَمَا نَلَاظُهُ عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ أَنَّ أَغْلَبَ الْمَدَنِ الْمَذْكُورَةِ عِبَارَةٌ عَنْ وَاحَاتٍ وَحَوَاضِرٍ كَبْرَى بَيْنَ الْمَغْرِبِيْنَ الْأَدْنَى وَالْأَوْسَطِ، خَصَّصَ لَهَا صَاحِبُ الْإِسْتِبْصَارِ فِي مُؤَلَّفِهِ قِسْماً مَهْماً وَعَنْصَراً مُسْتَقِلاً عَنْ بَقِيَّةِ الْعُنَاصِرِ أَوْرَدَهَا بِاسْمِ الْوَاحَاتِ، فَمِنْ بِلَادِ الْجَرِيدِ وَقَسْطَلِيَّةٍ وَنَفْزَاوَةٍ وَمَدِينَةٍ بِشْرَى (مَجْهُولٌ، الصفحات 151-159) وَمِنْهَا إِلَى بِلَادِ الزَّابِ الَّتِي أَوْرَدَهَا ضَمَّنَ هَذَا الْعَنْصَرَ، فَهِيَ عَلَى طَرَفِ الصَّحْرَاءِ وَهِيَ بِمَثِيلَتِهَا -بِلَادُ الْجَرِيدِ- فِي

حر هوائها وكثرة نخلها وهي مدن كثيرة وأنظار واسعة وعمائر متصلة فيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة" (مجهول، صفحة 171).

طَبْنَة - سَجْلَمَاسَة - بلاد السودان: يتصل الطريق من طَبْنَة إلى تلك المناطق عن طريق المسلك المسيلي ثمَّ نحو تِهْرْت بخمسون مرحلة ومن هناك نحو سَجْلَمَاسَة وبلاد السودان ( الإدريسي، 1893، الصفحات 97-99).

**3.4 سجل الصادرات والواردات:** لم تفصح النصوص الجغرافية عن سجل الصادرات والواردات للحاضرة طَبْنَة، وما اشتملت عليه كان عاماً في غالبه، وما تمَّ تسجيله حول لائحة وارداتها فكان الزبيب في الصدارة ( الإدريسي، 1893، الصفحات 58-59)، إضافة إلى الجوز الذي كانت تنتجه جارتها سطيف، أمَّا عن قائمة الصادرات فتمثلت بوجه عام في تصدير الإبل التي استقبلتها القيروان: "يردها كل يوم من الدواب والإبل العدد العظيم الألف والأكثر" (البكري، صفحة 56)، كما ذكر صاحب سيرة بني عبيد الإبل التي زحرت بها المنطقة حينما تحدث عن الحرب التي شنها الخليفة إسماعيل العبيدي عندما كان بأرض طَبْنَة وبلغه خبر الحصار الذي ضربه المخلد بن كيداد على قبائل جبل الأوراس، فكلف والي الزاب والمسيلة علي بن حمدون بالتصدي له واجهاض حركته فجهز جيشاً قومه عشرون فرس ولما فك الحصار جاء راكباً جمل (ابن حماد، صفحة 65)، وبالتالي يمكن القول أن مرحلة تبادل السلع في فترة بني عبيد كانت نشطة جداً، إضافة إلى ما تمت الإشارة إليه سابقاً حول تصديرها للتمر، كما لا يمكن أن نتغاضى عن دورها في تصدير القطن.

## 5. خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع: "طَبْنَة بين المدينة والحاضرة؛ وعلاقاتها الاقتصادية بواحات المغربين الأوسط والأدنى ق 1-5هـ/7-11م"؛ تبين لنا ما يلي:

نالت طَبْنَة شهرة لا بأس بها في معاجم ومصنفات الرحالة والجغرافيين خلال العصر الوسيط، وذلك راجع إلى أهميتها التاريخية والسياسية والحضارية بالنسبة للمغرب الأوسط عامة وإقليم الزاب خاصة، ولم يتوقف ذكرها في المصادر العربية الإسلامية بل فرضت نفسها في النصوص اللاتينية، باعتبار أنَّ تاريخ تأسيس يعود للفترة الرومانية، إضافة إلى احتفاظ المستشرقين بنبذ عن أخبارها.

أجمعت المصادر الجغرافية على وصفها بالمدينة العظمى، وهذا مدعاة إلى القول أنَّها مثلت حاضرة من حواضر الزاب منذ الفتح الإسلامي إلى غاية القرن الخامس هجري/الحادي عشر الميلادي، ولاسيما

الفترة الواقعة بين القرنين الثاني والثالث هجريين/الثامن التاسع الميلاديين حيث عدت من أزهى فترات الحضارية، كما جمعت بين التل والصحراء.

حظيت طبنة بموقع استراتيجي هام جعلها تتوسط مختلف الواحات والمدن الكبرى وتجمع بين مسالكه البرية لترسم شبكة مواصلات كبرى، وجعلها تظفر بمكانة هامة في التاريخ السياسي والحضاري للمنطقة، كما تربعت على عدد من الأنشطة الفلاحية والصناعية واشتهرت بتربية الماشية وسائر الكراع فكل ذلك أهلها لتكون مركزا تجاريا ومقصدا للتجار داخل المدينة وخارجها.

## 6. قائمة المصادر والمراجع

1. الإدريسي، الشريف، (1893)، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مطبعة بريل.
2. GRANGE, R, (1901), MONOGRAPHIE DE TOBNA ALGER : RECUEIL DES NOTICES ET MEMOIRES DE LA SOCIETE ARCHEOLOGIQUE DU DEPARTEMENT DE CONSTANTINE.
3. ابن العوام، الإشبيلي، (2012)، الفلاحة الأندلسية، مجمع اللغة العربية، الأردن.
4. ابن حماد، أبي عبد الله محمد بن علي، (د.س)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، دار الصحوة، مصر.
5. ابن خلدون، عبد الرحمن، (2001). المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت.
6. ابن سعيد المغربي، (1964)، المغرب في حلي المغرب، دار المعارف، مصر.
7. ابن منظور، (د.س)، لسان العرب، دار المعارف، مصر.
8. ابن حوقل، أبو القاسم، (1996)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت.
9. أسامة جعيل، (2018)، طبنة حاضرة إقليم الزاب والمغرب عبر العصور -دراسة تاريخية-، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية الصادرة عن جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، م:2، ع:2.
10. البكري، عبيد الله، (د.س)، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، مصر.
11. الحميري، عبد المنعم، (1975، 1984)، الروض المعطار في خبر الأقطار، مطبعة هيدلبرغ، بيروت.
12. ابن أبي الفدا، عماد الدين إسماعيل، (د.س)، تقويم البلدان، (د.م) (د.ب).
13. المراكشي، ابن عذارى، (د.س)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت.

14. المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد، (د.س)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، بيروت.
15. القاضي النعمان، (1986)، افتتاح الدعوة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
16. الحموي، شهاب الدين ياقوت، (د.س)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.
17. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن الوضاح، (1830)، البلدان، مطبعة ليدن.
18. ابن بصال، (1955)، الفلاحة، معهد مولاي حسن، المغرب.
19. ابن الخياط، أبي عمرو خليفة المعروف بشبّاب، (1995)، تاريخ خليفة بن خياط، دار الكتب العلمية، بيروت.
20. الحموي، شهاب الدين ياقوت، (د.س)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت.
21. أوكعروور عبد الحكيم، (2018)، طبنة عبر التاريخ الشواهد الأثرية والأبحاث العلمية، مجلة الدراسات الأثرية الصادرة عن كلية العلوم الإنسانية الجزائر 2، م:16، ع:1.
22. لقبال، موسى، (د.س)، "طبنة في مجال العلاقة بين زناتة والفاطميين حتى نهاية عهد المنصور الفاطميين"، متاح للقراءة والتحميل في المنصة الوطنية للمقالات المصنفة غير أنها لم تتح لنا فرصة التعرف على اسم المجلة أو العدد.
23. مجهول، (د.س)، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون العربية، العراق.